خارج المدى

هل يبقى تاريخنا العراقي خارج التدوين؟

فاضل السلطاني

إنه السؤال القديم- الجديد دائماً. لماذا لم ننتج أدباً أو فناً يرتفعان إلى مستوى التراجيديا العراقية النادرة؟ لماذا لم يكن لنا، نحن العراقيين، محفوظنا الخاص، كما تساءل أحد الزملاء في عدد سابق من "المدى الثقافي"؟ أين هي الشهادات، إذا تشعبت اسئلتنا، عن نصف قرن، في الأقل، من تاريخ بلد عج بما لم تعج به شعوب أخرى كثيرة ، في المنطقة وخارجها، من هبات وثورات وغليان دموي، وحروب، وقمع يحمل ماركة عراقية خاصة، وأجساد بالمئات، في العراقين القديم والجديد، لم تعرف حتى دفء القبور، مع أن انتيجونا أقامت طيبة ولم تقعدها حتى دفنت جثة أخيها بولينيسس، الذي قتله الطاغية كريون ورمى جثته في العراء.

إن " بطريرك" نا لا يقل قسوة وجنوناً، ومسخرة أيضاً، عن بطريرك الكولومبي غارسيا ماركيز، إن لم يكن يبزه كثيراً، وجلادنا، أو جلادونا، لا يقلون بشاعة عن جلاد البروني ماريا يوسا، الملقب ب" المعظم" ، في روايته الذائعة الصيت" حفلة التيس"، إن لم يكونوا يتجاوزونه كثيراً، هذا إذا أخذنا مثالين فقط من عشرات الأمثلة، في واقع شبيه إلى درجة كبيرة بواقعنا سياسياً واجتماعياً. إنا نتبادل وقائع مرعبة من تاريخنا، حين نكون قادرين على تبادلها، في المقهى، والبيت، ونروي شفوياً ما نعرفه وشاهدناه من فواجع، ونصرخ أمام المرآة، بدل أن نفعل ذلك على الورق.

لا نتحدث، هنا، عن الإبداع فقط، الذي تتحكم به قوانينه الخاصة، وتتطلب شروطاً معينة، وأولها الشرط الذاتي الخاص بالمبدع ذاته، وقد يأتي أولا يأتي في لحظات تاريخية معينة، وإنما كذلك عن الشهادات التاريخية والسير والمذكرات التي نفتقدها إليها، ليس الآن فقط، وإنما منذ أمد بعيد، والتي لم تشكل يوماً ملمحاً في المشهد الأدبي العراقي، الذي اقتصر على الفنون الإبداعية، لأسباب عديدة متداخلة، بحاجة إلى التوقف عندها. لقد صدرت بالطبع، خاصة في المهجر العراقي، عدة أعمال مهمة، وخاصة فيما يتعلق بالسيرة والسيرة الذاتية، كان آخرها كتاب " الوجدان" بجزأيه للصحافي الرائد فائق بطي، وكتاب محمد حديد" ذكرياتي"، الذي صدر قبل أيام في العاصمة البريطانية بعد رحيل هذا الرجل الجليل، وكان هذا شرطه على أبنائه بعد أن وافق على كتابة مذكراته التاريخية، وهو في التسعين، مستجيباً للضغوط الكبيرة عليه.

إننا، للاسف، ننسى احيانا قوة الكلمة فنصمت، فيتحول هذا الصمت، من دون أن ندري، الى ما يشبه التواطؤ على الحقيقة. صمتنا عن كوارث كثيرة، عجزا او خوفا او يأسا. ولم نسجل للناس والتاريخ ما كان يجب ان نسجله، فضاع منا الشيء الكثير.

لا نتحدث هنا عن التقارير الصحافية والوثائق التي سرعان ما ينساها الناس، كما نسوا من قبل، انما عن الكتابة التي ترتفع بها لتحولها الى قيمة باقية تتجاوز الزمان والمكان، دون ان تفقد واقعيتها المهولة.

لقد انتجت الامم الاخرى، ولا تزال تنتج، آلاف الكتب عن مآسي الماضي التي مرت بها حتى قبل قرون، سواء أكانت كتبا تاريخية ام ادبية. وفي السنوات الثلاث الاخيرة، على سبيل المثال، ظهر في بريطانيا اكثر من كتاب عن الحرب العالمية الاولى برؤى جديدة، اضافة الى روايات استلهمت احداثا في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وبالمقارنة، وهي ربما لا تجوز، نجد اننا لسنا مهددين فقط بنسيان ماضينا، وإنما حقيقتنا الجوهرية المهددة بالضياع.

كل شيء سيضيع في مجرى التاريخ اذا لم تأسره الكلمات.

أغنيـــــة في الحـــب

خالد مطلك

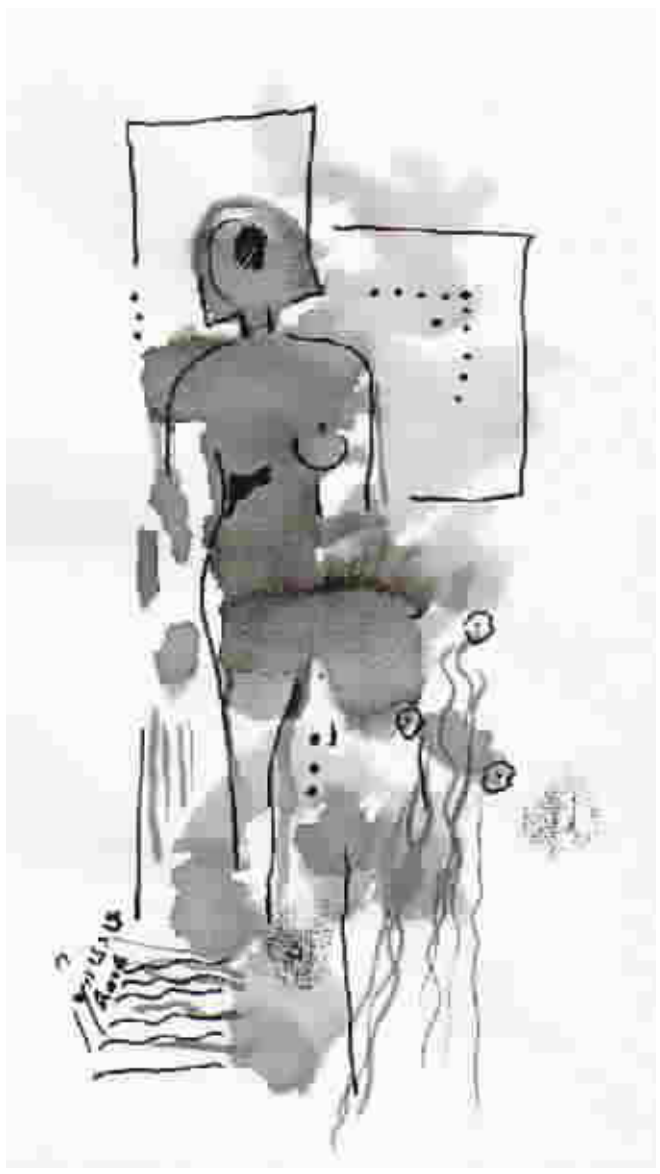

مع ذلك ....
لا تنسي الحب، لا تتجاهلي الموسيقى
اسمعي أغنيات قلبي الحزين ...
وتذكري الشتاء
والأرصفة
والساحات

تمسكي بالغيمة الملونة ... وقولي لورد محبتنا : اقترب من الساقية
مع ذلك .... وبرغم ما تشاهدين من خراب
انشري السنوات القديمة في الصباح
١٩٩٣
١٩٩٤
١٩٩٥
١٩٩٦
حتى عام ٢٠٠٠ لا تتجاهليه
كان عاما مناسبا للحب
وعلى الرغم من انك كنت ضجرة
ويائسة
ومحبطة
لكن المطر كان يأتي
والمدينة كانت تردد صدى الأغنيات
كانت أعواما مرة بالتأكيد .. مرة وحزينة
كانت الصباحات تشهق الأشجار
وكان الدكتاتور تلفزيونا ..

مجرد صورة في التلفزيون
ورغم إن الهواء ملوث
لكنني .. لكنك ... لكننا

كنا نسمع خطوات الموسيقى على الرصيف
.. ياه .. هل تتذكرين رصيف الوزيرية
هل تتذكرين أكاديمية الفنون
هل تتذكرين الشارع الذي يقود الى مقبرة الانكليز
هل تتذكرين انك كنت متعبة وكنت أنا حزين
مع ذلك أرجوك لا تيأسي
تمسكي بالغيمة الملونة
الأمطار قادمة
وها أنا اقرأ كتاب الفصول ...
النوارس قادمة وتحت جسر الجمهورية
سنقف منبهرين بالذكرى ..
لا تخافي الأرصفة
العبوات لاتقتل البنات الحلوات !!
لا تخافي السيارات....
لا تخافي الوحشة
لا تخافي السكون
لا تخافي منع التجوال
لا تخافي الدبابات
فوسط كل هذا الخراب
اسمع نشيدك
وتحت قوس الألم
سأقف مذهولا لأكتب قصيدة جديدة
ليس لأنني لا أخاف
لكنه الحب يا حبيبتي... الحب الذي يصنع كل هذا المستحيل
مع ذلك
لاتنسي إن تحبيني
اسمعي صوت قلبي الحزين
قلبي الذي يقف تمثالا في شارع الرشيد
"رجل لا اعرفه يعبر الطريق
رجل تطير فوق رأسه الفراشات
ومن تعبه تتساقط السنوات على الرصيف
رجل كان عام ١٩٩٦
يحبك"

الليبراليون الجدد في مصر .. دراسة جديدة لـ هاني نسيره

المدى الثقافي

صدر عدد أغسطس من سلسلة كراسات استراتيجية الصادرة عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام تحت عنوان " الليبراليون الجدد في مصر : إشكاليات الخطاب والممارسة " وهو فضاء متنوع يسعي الكاتب الأستاذ هاني نسيره لرصد اتجاهاته المختلفة وضبط مفهومه عن طريق السمات المشتركة بين أصحابه والفارقة عن الآخرين ، مصريا وعربيا وعالميا ، ومحاولا اكتشاف إشكاليات الممارسة والخطاب عند كثير من ممثليه من خلال تلمس مواقفهم المتنوعة تجاه موضوعتي الإصلاح والعلاقة بين السلطة والمعارضة في مصر . وتؤكد الدراسة على أن الليبراليين الجدد في مصر ليسوا اتجاها واحدا ولا خطا واحدا في الواقع ، وتبرز الخصوصية المصرية في طرحها الليبرالي الجديد الذي يمثل الموجة الثالثة من موجات الليبرالية المصرية ، بعد أن ظهرت الموجة الأولي بها محمولة على أكتاف الإصلاحية الإسلامية في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين . تحاول الدراسة الإجابة على عديد من الأسئلة المتزنة وغير السجالية في فهم هذا الاتجاه من قبيل : من هم الليبراليون الجدد في مصر ؟ وماذا يميزهم عن سائر القوى الديمقراطية بها ؟ وماذا يميزهم كذلك عن تيار الليبراليين العرب الجدد الذي ظهر في المنطقة العربية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ؟ وما هي مواقفهم تجاه الإصلاح والصراع العربي الإسرائيلي والعلاقة بالعالم بعموم ؟ وبماذا تتميز موجاتهم الثلاث " مرحلة التأسيس - مرحلة الهامش في العهد الثوري - مرحلة العودة منذ بداية التسعينيات " عن بعضهم البعض ؟ وماهي أهم إشكالات الخطاب والممارسة عندهم .. هذه الأسئلة هي ما تسعي هذه الدراسة الجديدة لكشفه والإجابة عنه من خلال قسميها النظري " محاولة للضبط المفاهيمي : والتطبيقي : قراءة في خطاب الليبراليين والجدل الفكري لهم ومعهم ، بغية اكتشاف التطورات والتحولات في التيارات المختلفة في الراهنية الماثلة ؟ بعيدا عن المنطق السجالي والاتهامي السائد عربيا.

مجالس بغداد الأدبية في حوار مع زمنها الراحل

محمد جواد الغبّان : أربعينيات القرن المنصرم أنتجت أفضل تقاليد الثقافة العراقية

حوار: فاطمة المحسن

محمد جواد الغبّان الأديب العراقي الذي عاش أزمنة ثقافية مختلفة، التقيناه في الأردن في فعالية ثقافية سياسية،فكانت قصيدته الكلاسيكية التي أهداها الى العراق محض مشاعر تعود الى أيام رحلت عن بغداد، حيث كانت حاضرة تزهو بأحلامها. هذا الشيخ الذي عاش الأطوار المتغيرة للثقافة العراقية،صاحب الكثير من الأدباء، وعبر مجلسه الأسبوعي الذي كان يعقد في بيته مساء الأحد، كانت له مساجلات وحوارات وآراء عن الشعراء والنقاد والمختصين بعلم اللغة والاجتماع. لعل استذكارنا معه تلك الأوقات، محاولة لتلمس ملامح بغداد التي ذهب بها الزمن بعيدا، هجرات وتمزقات وإحترابات مقيمة. الغبان عبر انطباعاته عن ناس الثقافة، يسلط الضوء على جانب مهم من جوانب الحياة الشخصية للمثقف، وهي على قدر من الأهمية في عالمنا المعاصر، حيث ينهمك الكتاب في إعادة سيرة الثقافة دون اقنعتها. رن هاتفه ونحن نجلس في صالة الفندق، وكانت ابنته تخبره ألاّ يعود الى بغداد، فالموت في الشوارع، وهي تخاف عليه. خيم الحزن على وجهه، وطلب منها ان تتحين فرصة أخرى كي تكلمه : مالذي تبقى من العمر كي أغادر بغداد ؟ كان يردد مع نفسه.ولكن ابتسامة لاحت على محياه وهو يسترسل في ذكرياته.

الغبّان له مؤلفات في اللغة والتاريخ الأدبي ودواوين شعر ومعارضات واخوانيات، ولم يكف عن الإنشغال بالنشر حتى وهو شيخ جاوز الثمانين، فكتابه عن المتنبي صدر منذ وقت قريب، وهذه السنة أصدرت له وزارة الثقافة كتابا عنوانه (المعارك الأدبية حول تحرير المرأة).

المجالس الأدبية التي كان يحضرها او يعقدها في بيته،شكلت جزءا مهما من ثقافته، وهي تعتمد حافظة شفاهية يتميز بها أدباء فترته، فهو متكلم على نحو يوحي بأهمية الاسترسال والتكرار، تزاحم رأسه الأفكار، ويملك الكثير من المعلومات حول الشخصيات الثقافية، ويطرح آراءه عنها على قدر من الموضوعية، ولكنه بقي منحازا الى الزمن الثقافي الأول، زمن الأربعينيات الذي لايريد مغادرته.

.كان لنا مع الغبّان حوار حول ناس الثقافة العراقية، ومع انه متقطع ومبتسر،غير انه يساعد على معرفة جانب مشوق من حياة بغداد التي طويت صفحتها اليوم.

❖ *انت عايشت الأطوار المختلفة من عمر الثقافة العراقية الحديثة، فما هي ملامح التشابه والإختلاف بينها، من حيث طبيعة المثقفين وإهتماماتهم، والتركيبة الثقافية ونوع توجهاتها؟.*

- أفضل فترة مرت بها الثقافة العراقية هي أربعينيات القرن المنصرم، عشت ذلك الطور الذي ازدهرت فيه الحياة الأدبية ازدهارا رائعا، واستمر هذا التطور الى الخمسينيات حيث بدأت إنحدارها التدريجي في الستينيات. وإن سألتني عن الأسباب فسأقول، أن الاربعينيات زمن صدور الصحف والمجلات الأدبية، وتفاعل الثقافة العراقية مع العالم العربي عبر التأثير فيه وليس فقط التأثر به. كان الكتاب العراقيون يساهمون في الصحافة العربية وصوتهم مسموعا، ولم تكن مجلة عربية تحجب عن القارئ العراقي، وهذا خلاف ماحصل نهاية الخمسينيات أي في عهد الثورة،حيث منعت الكثير من المجلات العربية من الدخول الى العراق. في الأربعينيات كانت هناك صحافة عراقية راقية تهتم بالأدب والعلوم والحياة الإجتماعية، وهي منوعة الإتجاهات ولا تخضع الى الرقابة الصارمة التي خضعت اليها الصحافة في عهد المد الشعبي. مدينة مثل النجف، كانت تصدر فيها أكثر من أثنتي عشرة مجلة أدبية وثقافية، فكيف ببغداد. كان المثقفون يقرأون كل الآراء سواء في نظريات الأدب والفكر او المجالات الإبداعية من شعر وقصة. والى منتصف الخمسينيات، كانت الثقافة لاتخشى تعدد الإعتقادات وتخالفها، فالمثقف ينظر بإحترام الى أي إجتهاد حتى الذي يناقض رأيه، وهذه الاراء تشكل المادة التي ترفد الصحف والمجلات والمجالس الأدبية بالمواد المنوعة. ثم دخلت الثقافة العراقية معارك السياسة بعد هذا التاريخ، فإنشغل المثقفون بالشعارات والهتافات، وكانت تلك الفترة إيذانا بالخراب الذي شهدناه ونشهده.

❖ *الطور الخمسيني أنتج وبلور مشروع قصيدة الشعر الحر والقصة الجديدة، وجعل الكتّاب العراقيين يشاركون على نحو فاعل في الثقافة العربية، فلماذا لاتتوقف عنده؟*

- التطور الذي حصل في الثقافة العراقية خلال الخمسينيات كان نتاج الفترة التي سبقته، ولا جديد بدأ إلاّ في الأربعينيات. في نهاية الأربعينيات بدأ مشروع قصيدة الشعر الحر وظهرت نازك والسياب، كذلك كتاب القصة الجديدة.

❖ *لندخل في موضوعنا الآخر: أنت صاحب مجلس أدبي ببغداد وكان جلاّسه الكثير من المثقفين، ماذا يضيف المجلس الى الكاتب او الأديب، وهل له قدرة على خلق تيارات أدبية او فكرية؟*

-لايضيف المجلس الى الأدباء ميزات خارج مواهبهم، ولكنه ينمّي هذه المواهب ويزيد من قدرة الكاتب على معرفة قيمة نتاجاته،فإصداراته عرضة للنقاش والتشجيع. كما أن المجالس لاتخلق تيارات أدبية أو فكرية، ولكن نقاشاتها تكون صدى لتلك التيارات، وحسب تجربتي كان مجلسي والمجالس التي أحضرها وهي كثيرة ببغداد، تحفل بحوارات منوعة حول التيارات الأدبية والفكرية في العراق والبلدان العربية وكل أديب يدلي بدلوه . اتذكر مجلس الأب انستاس ماري الكرملي، كانت تحضره نخبة من المثقفين الكبار، وكان الكرملي في الغالب يدير النقاش وخاصة في قضايا اللغة العربية، فهو ضليع بها.

❖*كيف تصف شخصية الكرملي، وهل كنتم تدركون انه صاحب مشروع ثقافي كبير؟*

- الأب انستاس الكرملي كان وديعا ولطيفا ومجاملا، ويخجل المقابل بمجاملته. وعندما يبدي آراءه في موضوع اللغة يكون مصمما كل التصميم ومقتنعا على نحو لايمكن رده. الكل كان يعتبر قوله هو الفاصل، كان حجة ومرجعا.

❖ *من من الكتّاب كان يحضر مجلسك الأدبي؟*

- علي جواد الطاهر،إبراهيم الوائلي،مهدي المخزومي محمد مهدي الجواهري علي الوردي،الشيخ جلال الحنفي، عبد الحميد الرشودي،ابراهيم الوائلي، محمد صادق القاموسي، وحسين محفوظ وغيرهم الكثير.

❖ *لماذا يقتصر المجلس على الكبار في السن والمشهورين، ويخلو من وجود النساء؟*

- يحضر الأدباء الشباب ولكن مشاركتهم في النقاش نادرة، وهم يتوجهون بالاسئلة فقط. مجلسنا شاركت فيه بعض النساء ولكن على نحو محدود.وكانت بناتي يحضرن في وجودهن.

❖ *بعض المجالس الأدبية في بلاد الشام ومصر كانت تديرها وتدعو اليها النساء، ولكننا لانجد أدبية عراقية تعقد مجلسا .*

. كان لشرقية الراوي مجلسها الخاص، كما كانت لميعة عباس عمارة تدعو الأدباء الى بيتها كل اسبوع للتداول في الشأن الثقافي.ومجلسي حضرته الكثير من النساء وخاصة في السبعينيات،كل الأديبات من الاردن وتونس والمغرب ومصر اللواتي قدمن الى العراق في الثمانينيات حضرن مجلسي.

❖ *ونازك الملائكة؟*

ج . كانت شخصية تفضّل العزلة، ولا تحب حضور المجالس الأدبية،وعند إصدارها ديوانها الاول زارت بيت أهلها ثلة من أدباء النجف وقرأ بعضهم قصائد مديح وتحيات، ولكنها إستمعت الى تلك القصائد من وراء الستار.

❖ *هذه القصة التي تتكرر في الكتابات عنها، تخالف قصصا أخرى، منها كونها امرأة سافرة، وغير أديب تحدث عن لقاءات جرت معها بحضور الأهل أو دونهم، وكانت طالبة في جامعة مختلطة، وتدرس العود على يد أستاذ، ولها محاضرات حول حرية المرأة ومشاركتها في الحياة، فكيف يستوى هذا مع قصة الإستماع من وراء الستار؟*

-لا أعرف السر وراء تلك الحادثة، ولكنها كانت خجولة، وشديدة التهذيب. ربطتني بها رفقة أدبية خلال مؤتمر الأدباء الأول الذي عقد في الخمسينيات، حيث كانت ضمن الهيئة الادارية حين زرنا الكويت.

❖ *ماهي انطباعاتك عنها؟.*

- هادئة ومؤدبة ومثقفة جيدة، ولكنها متعصبة الى معتقداتها العروبية ولاتطيق من يخالفها الرأي.

❖ *لنعد الى رجال مجلسك :ما الذي بقي في ذاكرتك عن علي الوردي؟*

- علي الوردي كان من الوجوه اللامعة بين الحضور، يود أن تدور كل الأحاديث عن موضوعه، أي علم الاجتماع،وهو لايحبذ حديث الأدب، وكنت ألمح بعض انزعاج وضيق على ملامحه عند قراءة الشعر. يستطيع الإسترسال الى فترة طويلة في الحديث عن نظريات علم الاجتماع الحديثة، ولكنه لايصمد أمام آراء المعترضين على أفكاره، فهو يغادر حلبة النقاش ويصمت حالما يشعر ان كلامه عرضة للنقد فهو لايحب السجال. كان عارفا بمادته على نحو جيد، تكاد مصادره تكون جلها غربية، ولكنه كان يبحث عن الرواية الشاذة او التي لايتفق معها الناس ويتبناها ليخرج بآراء تبرهن على صحة معتقداته، وهذا ماكنا نجادله فيه.

❖ *كيف كان الشيخ جلال الحنفي؟*

- الشيخ جلال الحنفي مختص باللغة العربية والعروض والفقه والغناء والمقام العراقي منه على وجه التحديد، فهو موسوعي المعرفة، حتى في علم الإملاء له اجتهاداته، ولكنه متعصب للكوفيين في هذا الباب. ومع كونه شخصية جميلة غير انه شديد الإنحياز لرأيه، فإن أعتقد بصحة قضية يظل يدافع عنها بالحجة المقبولة او خلافها، ولكنه ظريف الى أبعد حدود الظرف، يأتي بالنكات العجيبة الغريبة التي تضحك الثكالى، كما أنه سريع البديهة في النظم، تأتيه القوافي دون صعوبة. والى ان مات الشيخ ،كان يكتب دون تنقيط، ولديّ رسائل منه لم يضع فيها أية نقطة على كلمة. كان الشيخ شخصية بسيطة لاتحمل تعقيدات او تحاملات إجتماعية أو إستعراضات دينية أو صرامة وضيق أفق. ومع انه كان إمام جامع الخلفاء في شارع الرشيد الى أن توفاه الله وعمره سبعون عاما، ولكنه يحلق لحيته، ويعشق الأدب والفنون والغناء، وكم سعدنا بسماع صوته وهو يقرأ المقام العراقي الذي تولّع به.

❖ *هل كانت لديكم خلافات حول المذاهب؟*

- لم نكن نعترف بهذا الأمر في جلساتنا، وإن تعرضنا لإختلاف المذاهب، فعلى نحو موضوعي لايخص الانتماء الشخصي. الشيخ جلال الحنفي على سبيل المثال، كانت له صلات وثيقة بعلماء النجف ورجال دينها.

❖ *كيف كان علي جواد الطاهر؟*

- كان دبلوماسيا ولا يحب قول رأيه المباشر، ولكنه يفصل بين المتخاصمين ولا يهوى المماحكات.

❖ *وحسين محفوظ؟*

- يشعر بظلم الدوائر العلمية والأدبية وعدم قدرتها على تشخيص مكانته العلمية، وحتى المجمع العلمي بعد سقوط النظام لم يضعه في مكانه المناسب ولم يحظ بالتكريم الذي يستحقه.

❖ *ماهو الفرق بين مجالسكم والمقاهي الأدبية، ولماذا لم تعوض المقاهي عن لقاء البيوت؟*

- المقاهي الأدبية مكان يحضره عوام الناس، إضافة الى الأدباء، وهذا يجعل للخصوصية بعض اختراقات، في حين المجالس تقتصر على المعارف والأصدقاء وجلستها أكثر حميمية ولا يمكن مقاطعتها باصوات العامة والمتدخلين بأمور لاتعنيهم.

❖ *ماذا تبقى اليوم من مجلسك؟*

- منذ الخمسينيات بقي مجلسي معقودا إلا بعض فترات إضطرارية، ولكني أغلقته منتصف التسعينيات بعد أن شعرت بدخول المتنصتين من رجال الامن، وحاولت إعادته قبل سنتين، ولكن الظروف الأمنية الآن لاتساعدنا على الاجتماع. هو معلق بمصير العراق، مثلما حال الأدب والأدباء.

تعب الغبّان من الحديث،وتذكّر موعده مع الطبيب. وقبل أن يعدني بلقاء آخر وحديث عن كتّاب اخرين، دعاني الى بيته ببغداد، فتخيلت نفسي أجلس في مجلس من مجالسه الأدبية، أو أطلع على مكتبته العامرة. تذكرت الأسماء التي كتبها جليل العطية على ورقة وسلمها لي قبل أن يباغته المرض، وبينها بعض جلاّس في ملتقى الغبّان.وكنت حينها أمنّي النفس بلقاء بغداد وأهل ثقافتها قبل رحيل زمنها الجميل. ولكن خاطرا خطف أمام عيني وانا أسأل الغبّان عن الطريق الى بيته : هل تسمح الحرب بالعبور الى تلك الضفاف البعيدة قبل أن يدركني الوقت؟